الأسرة المسلمة فى مواجهة التحديات المعاصرة

بقلم: أ.د. محمد عبد العليم العدوى(*)

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، وبعد،،

فإن الأسرة هى اللبنة الأولى فى بناء صرح المجتمع، الذى يتكون من مجموعة أسر يرتبط بعضها ببعض، ومن الطبيعى أن البناء مكون من لبنات، يأخذ ما لهذه اللبنات من قوة أو ضعف، فإذا كانت اللبنات قوية ذات تماسك ومناعة، كانت الأمة المكونة منها كذلك قوية ذات تماسك ومناعة، وكلما كانت اللبنات ذات ضعف وانحلال، كانت الأمة كذلك ذات ضعف وانحلال.

وإذا كانت الأسرة لبنة من لبنات بناء الأمة، فإن الزواج المشروع هو أصل الأسرة، به تتكون، ومنه تنمو، كما تنمو وتتكون كل المخلوقات التى فطرها الله على تلك السنة، سنة الزوجية. يقول عز من قائل: ﴿وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾[الذاريات:٤٩].

كما يقول عز من قائل: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لا يَعْلَمُونَ﴾[يس:٣٦]، ويقول تعالى: ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾[النبأ:٨].

ويقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً﴾[النساء:١].

والزواج المشروع فطرة الله التى فطر الناس عليها، وهو يأخذ نفس العناية التى تأخذها الأسرة إن لم تكن أقوى وأشد.

(*) الأستاذ بجامعة الأزهر.

ولا نعرف دينًا من الأديان السماوية إلا وكان للزواج فيه المكان الأول، مما يستدعى العناية والاحترام، وكذلك لا نعرف أمة من الأمم التى تعرف قيمة الحياة إلا كان الزواج لديها آخذًا تلك المكانة من العناية والاهتمام.

وليس ذلك فقط؛ لأن الزواج أصل الأسرة، بل لأنه أيضًا مما تدعو إليه الفطرة السليمة وتقضى به الطبيعة الإنسانية، ولولا الزواج الذى شرعه الله، والذى ينظم به تلك الفطرة بين الإنسان والحيوان، لتساوى الإنسان مع غيره من أنواع الحيوان فى سبيل تلبية فطرته، وإشباع رغبته، وقضاء شهوته، عن طريق الفوضى والشيوع، وعندئذ لا يكون الإنسان هو ذلك المخلوق الذى كرمه الله ، وفضله على كثير ممن خلق، فنفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، ثم منحه العقل والتفكير، واستخلفه فى أرضه، وسخر له ما فى كونه من نواميس تساعده على سعيه وكدحه، وسبيل هديه ورشده، ثم هيأ له مبادىء الروابط السامية، التى يرتفع بها عن حضيض الحيوانية البحتة، والأهواء الجامحة المهلكة، وتدعوه إلى التعاون مع بنى جنسه ونوعه فى عمارة الكون، وتدبير المصالح، وتبادل المنافع، والقيام بالمهمة التى كلفه الله إياها، وبالهدف والغاية المرجوّة من حياته الدنيا، ألا وهى طاعة الله وعبادته، واتباع منهجه وهدى رسله، حتى لا يضل ولا يشقى، ولا يخاف ولا يحزن. وصدق الله العظيم ﴿قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[البقرة:٣٨].

ويقول عز من قائل: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ ﴿١٢٦﴾﴾[طه: ١٢٣-١٢٥].

وإذا كان الله -سبحانه وتعالى- قد وضع للإنسان المنهج الذى يسير عليه فى

الحياة؛ ليستطيع القيام بمهمته التى وُكِّلت إليه فيها، والتى من لوازمها تنظيم الفطرة الخاصة بالزواج، سموًا به عن مراتع الحيوانية فى تلبية هذه الفطرة، فإن الإنسان من جهة أخرى مطبوع على حب البقاء.

وإذا كان لا سبيل إلى بقائه إلا بذاته، وكان يؤمن بذلك من مشاهداته وصنيع الله فى آبائه وأجداده، وسائر الأحياء، فإنه يرى أن سبيله إلى البقاء إنما هو النسل المعروف نسبته إليه، يراه امتدادًا فى لقائه واستمرارًا لذكراه، وخلودًا لحياته، وإعمارًا للأرض.

ومن هنا كان تنظيم الفطرة البشرية عن طريق الزواج المحقق لهذه التسمية أمرًا لابد منه، فى حصول الإنسان على ما طُبِع عليه من محبة استمرار وجوده، الذى يراه فى نسله من بنين وحفدة.

وحسبنا فى ذلك أن الله -سبحانه وتعالى- نظم الأزواج وما يمنحنا منهن من بنين وحفدة مع رزق الطيبات فى عقد واحد، وهو صنيع يشعرنا بأن الحاجة إلى الأزواج وثمرة الأزواج، والتفضل بتنظيم الزواج وتشريعه المحكم، يشعر أن كل ذلك ليست حاجتنا إليه بأقل من حاجتنا إلى طيبات الرزق، التى تحفظ كياننا وتقينا التعرض للضعف والانحلال[1]. ولنستمع إلى قول الحق -تبارك وتعالى- وهو يمتن على عباده برزقهم الأولاد مقرونًا برزق الطيبات، يقول سبحانه: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾[النحل:٧٢].

(١) الشيخ محمود شلتوت: "الإسلام عقيدة وشريعة"، من ص١٤١-١٤٥ بتصرف.

المبحث الأول
الزواج سكن ومودة ورحمة

إذا كان الإنسان محتاجًا فى بقائه إلى أبنائه وأحفاده، ليسعد بهم وتهنأ حياته ويطيب عيشه، وكان الزواج الذى شرعه الله -عز وجل- فى ظلال الإسلام هو الفطرة، فإن الهدف الأسمى أيضًا من هذا الزواج، والغاية المثلى منه، هو فى راحته القلبية، وسكنه إلى القلب الذى يحنو عليه ويضمه إلى صدره فى مودة ورحمة، ويشاركه السراء والضراء، أشد حاجة من حاجته إلى هؤلاء البنين والحفدة، الذين لا تتم النعمة والسرور برؤيتهم والأنس بوجودهم إلا مع سكون القلب، واطمئنان النفس وراحة البال، وإلى ذلك يشير قوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[الروم:٢١]. وإذا كانت الأسرة -كما أشرنا- دعامة الأمة، فإن الزواج الذى شرعه الله عماد الأسرة، به تنشأ وتتكون، وفى مهاده تحبو وتتطور، ومن غذائه الروحى والمادى تنمو وتتهذب، ومن دوحته الباسقة تتفتح براعم سلالة جديدة من البنين والبنات، تدرج فى المهد حينًا، ثم تخرج إلى الحياة رويدًا؛ لتؤدى رسالتها، وتتحمل مسئوليتها، وتأخذ نوبتها فى طريق الآباء والأجداد، ويظلل تلك الواحة المودة والرحمة.

ولعل كل الذى نقرره فى ثمرات الزواج وآثاره -من جانبى البقاء والمودة- هو قرة العين التى أطلق الله لسان عباده المقربين بدعائهم إياه بها. يقول سبحانه فى وصف عباد الرحمن: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾ [الفرقان:٧٤-٧٥]. وفى دعاء زكريا -عليه السلام- لربه ما يجدر بالإنسان الكامل أن يقف عنده ويتدبر مرماه، وأن يتذوقه حتى يملك عليه نفسه، وحتى يؤمن

بما آمن به المقربون من محبة الولد والحرص على طلبه والحصول عليه. يقول عز من قائل: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾[مريم:٤-٦].

وإذا كان الزواج -كما قلنا- هو فطرة الله التى فطر الناس عليها، وهو الذى يحقق بقاء النوع الإنسانى؛ لتعمر الحياة ويسعد الأحياء، فإنه من جهة أخرى يهيىء الإنسان للشعور بالمسئوليات والتبعات، ويكون له درسًا عمليا تدريبيا على تحمل أعبائه والقيام بتبعاته، فإن الإنسان لم يُخلق فى هذه الحياة لمجرد أن يأكل ويشرب، ويلهو ويلعب، ويعيش ثم يموت كما يموت غيره من سائر الأحياء، وإنما خُلق ليفكر ويقدر ويدبر، ويدير المصالح وينفع وينتفع، فهو إذن بمقتضى خلقه وتكوينه، وبما ميزه الله به من قوى الإدراك والعمل، لا ينبغى ولا يصح أن يكون خاليًا من المسئوليات؛ لأنه الوحيد من بين سائر المخلوقات الذى حُمِّل الأمانة، وبالتالى لا يصح وهو عنصر من عناصر الحياة العامة ألا يزود فى حياة خاصة محدودة بما يعينه على تحمل تلك المسئوليات. يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ﴾[الانشقاق:٦].

كما يقول تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ﴾[النجم:٣٩-٤١].

وهو فى جو البيئة الزوجية والواحة الإيمانية التى تلتقى فيها القلوب والنفوس، وتمتزج فيها المودة مع الرحمة، يتلقى الدرس العملى النافع فى تقوية نفسه وقلبه على تحمل تلك المسئوليات، والقيام بها خير قيام، وبقدر ما تمتد هذه البيئة الصالحة وتتسع دائرتها وتتشعب فروعها ويينع ثمرها ويطيب زهرها، يشعر بعظم تلك المسئولية تجاه أسرته الصغرى، وأسرته الإنسانية الكبرى، وذلكم الرباط الذى يكون تلك المدرسة،

وتلك الدوحة، التى يتفيأ الجميع ظلالها، وليس شيئًا فيما ترى ويرى الناس غير الزواج الذى شرعه رب العباد، ولعل أقرب ما يوحى بهذا المعنى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾[النساء:١].

إنها ابتداء تذكر الناس بمصدرهم الذى صدروا عنه، وتردهم إلى خالقهم الذى أنشأهم فى هذه الأرض، هذه الحقيقة التى ينساها الناس، فينسون كل شىء، ولا يستقيم لهم بعدها أمر، ومن ثم عليهم أن يتقوه ويشكروه. وتوحى الآية بأن قاعدة الحياة البشرية هى الأسرة، فقد شاء الله أن تبدأ هذه النبتة فى الأرض بنفس واحدة، وخلق منها زوجها، فكانت أسرة من زوجين، وبث منهما رجالا كثيراً ونساء، ولو شاء الله لخلق فى أول النشأة رجالاً كثيراً ونساء، وزوجهم، فكانوا أسراً شتى من أول الطريق، لا رحم بينها من مبدأ الأمر، ولا رابطة تربطها إلا صدورها عن إرادة الخالق الواحد، وهى الوشيجة الأولى، ولكنه سبحانه شاء -لأمر يعلمه ولحكمة يقصدها- أن يضاعف الوشائج، فيبدأ بها من وشيجة الربوبية، وهى أصل وأول الوشائج، ثم يثنى بوشيجة الرحم، فتقوم الأسرة الأولى من ذكر وأنثى، هما من نفس واحدة وطبيعة واحدة وفطرة واحدة، ومن هذه الأسرة الأولى يبث رجالاً كثيراً ونساء، كلهم يرجعون ابتداء إلى وشيجة الربوبية، ثم يرجعون بعدها إلى وشيجة الأسرة، التى يقوم عليها المجتمع الإنسانى بعد قيامه على أساس العقيدة، ومن ثم هذه الرعاية للأسرة المسلمة، وهذه العناية بتوثيق عراها، وتشييت بنيانها، وحمايتها، مما يخالف الفطرة التى فطر الله الناس عليها[1].

ولوتذكر الناس هذه الحقيقة، حقيقة خلقهم من نفس واحدة وخلق زوجها منها،

(١) سيد قطب: "فى ظلال القرآن"، سورة النساء.

وبث كثير من الرجال والنساء، لتضاءلت فى حبهم كل الفروق الطارئة التى نشأت فى حياتهم متأخرة، ففرقت بين أبناء النفس الواحدة، ومزقت وشائج الرحم الواحدة، وكلها ملابسات طارئة ما كان يجوز أن تطغى على مودة الرحم، وحقها فى الرعاية وصلة النفس وحتها فى المودة، وصلة الربوبية وحقها فى التقوى.

والحقيقة الأخرى التى تتضمنها الإشارة إلى أنه من النفس الواحدة خلق منها زوجها، كانت كفيلة -لو أدركتها البشرية- أن توفر عليها تلك الأخطاء الأليمة التى تردَّت فيها، وهى تتدسور فى المرأة شتى التصورات السخيفة، وتراها منبع النجاسة والرجس، وأصل الشر والبلاء، وهى من النفس الأولى فطرة وطبعًا، خلقها الله لتكون لها زوجًا، وليبث منهما رجالاً كثيرًا ونساء، فلا فارق فى الأصل والفطرة، إنما الفارق فى الاستعداد والوظيفة.

ولقد خبطت البشرية فى هذا التيه طويلاً، جُرِّدَت المرأة من كل خصائص الإنسانية وحقوقها فترة من الزمان، تحت تأثير تصور سخيف لا أصل له، فلما أن أرادت معالجة هذا الخطأ الشنيع، اشتطت فى الضفة الأخرى، وأطلقت للمرأة العنان، ونسيت أنها إنسان خُلِقَت لإنسان، ونفس خلقت لنفس، وشطر مكمل لشطر، وأنهما ليسا فردين متماثلين، إنما هما زوجان متكاملان، وعنصران ممتزجان[1].

ولما كان للزواج فى الإسلام هذه المكانة السامية والمنزلة العُليا، حث الإسلام عليه ورغَّب فيه، ونرى ذلك فى هدى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وبصور متعددة توضح الحكمة من الزواج والغاية المرجوَّة، وترغِّب فيه[2].

فتارة يذكر أنه من سنن الأنبياء والمرسلين، وهم الذين يُقتدى بهم ويُهْتَدى. قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلاً مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً﴾[الرعد:٣٨].

وتارة يذكر فى معرض الامتنان وإظهار الفضل، فيقول سبحانه: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم

(١) المرجع السابق، نفسه.

٣) سيد سابق: "فقه السنة" ٢/ ١٣٤

مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ﴾ [النحل:٧٢].

وتارة يذكره على أنه آية من آيات الله -تعالى-، فيقول عز من قائل: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الروم:٢١].

وتارة يذكره على أنه طريق إلى الغنى، فيقول تعالى: ﴿إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ﴾[النور:٣٢].

ويقول ﷺ: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم، فإنه له وجاء»(١).

وأخرج الشيخان عن أنس -رضى الله عنه- قال: جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبى ﷺ يسألون عن عبادته، فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا: أين نحن من النبى ﷺ وقد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. قال أحدهم: أما أنا فإنى أصلى الليل أبدًا، وقال آخر: أنا أصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدًا. فجاء رسول الله ﷺ فقال: «أنتم الذين قلتم كذا وكذا، أما والله إنى لأخشاكم لله وأتقاكم له، لكنى أصوم وأفطر وأصلى وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتى فليس منى»(أخرجه الشيخان).

وقال رسول الله ﷺ: «من رزقه الله امرأة صالحة فقد أعانه على شطر دينه، فليتق الله فى الشطر الباقى»(٢). وقال ﷺ: «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله -عز وجل- خيرًا له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحته فى نفسها وماله»(٣).

(١) أخرجه الشيخان وأبو داود والنسائى وابن ماجه.

(٢) رواه الطبرانى والحاكم. وقال: صحيح الإسناد.

(٣) رواه ابن ماجه.

وفى سبيل دوام تلك العشرة واستقرارها وإحاطة السعادة بها، رغَّب الإسلام فى الحرص على الزواج بذات الدين؛ لأنها مال وجمال وحسب ونسب؛ ولذا قال ﷺ: «تنكح المرأة لأربع: لمالها ولجمالها ولحسبها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك»(١).

وروى أن عمر -رضى الله عنه- قال: يا رسول الله، أى المال نتخذ؟ فقال: «ليتخذ أحدكم قلبًا شاكرًا ولسانًا ذاكرًا وزوجة مؤمنة تعين أحدكم على أمر الآخرة»(٢).

ومما سبق يتضح لنا أن الإسلام لا يحرم الإنسان من التمتع بالحياة، عن طريق امرأة جميلة ذات مال وحسب، ولكنه يرتفع إلى مستوى أعلى وأرقى، ولا يقف عند المظاهر الحسية التى تتغير من آن لآن، والمتعة الباقية الحقيقية فى صلاح المرأة، وصلاحها جمال وكمال ومال وحسب، يقول ﷺ: «إن الدنيا متاع وخير متاعها المرأة الصالحة»(٣).

أما القصد إلى الحسن فقط أو المال فقط أو الحسب فقط، فهو تلك الدنيا التى تتجاهل مطالب الروح، وتوقع الإنسان فى فخ العبودية من حيث لا يحتسب، فيشقى ويضل.

وقد ثبت بالتجربة والمشاهدة أن الزوج الذى يتزوج على الاعتبارات الثلاثة: المال، والجمال، والحسب،إنما يغامر بسعادته وأمنه حين يقترن بمن لا تنعم بالإيمان ولا تستقيم على نهجه، إذ يسلم زمامه إلى تيار الهوى المتقلب الدائر مع الشهوات والملذات، الباحث عن المتع والمناعم الذى لا يتقيد بفضيلة ولا مبدأ، ولا يهدف إلى غاية، ولا يبحث عن حقيقة، فيبتعد بذلك عن الأمن والسعادة(٤).

واعتبار الدين والحرص عليه يعنى رغبة الإسلام فى استقرار الأسرة ورخاء

(١) متفق عليه.
(٢) أخرجه ابن ماجه.
(٣) أخرجه مسلم والنسائى.
(٤) د. مصطفى عبد الواحد: "نظام الأسرة فى الإسلام"، ص٢٦.

عيشها وطيب ريحها، وإيمان الزوجة وتقواها يجعلها ثمرة مباركة ورحمة سابقة ومتاعًا نافعًا وزادًا طيبًا، ويجعل الأسرة واحة ذات ظل ظليل، ومودة ورحمة، وتلك غاية الزواج وحكمته.

وكما ركز الإسلام على اختيار الزوجة، لفت النظر إلى أهمية اختيار الزوج الذى تتوافر فيه الأخلاق الكريمة والصفات الحميدة، والذى ينظر إلى الحياة الزوجية نظرة صادقة، ويسلك فيها السبيل القويم، ويدرك أن هذا الزواج ميثاق غليظ؛ ولذا ركز رسول الله ﷺ على من تميز بالدين والخلق الكريم، فقال: «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير». قالوا: يا رسول الله، وإن كان فيه -أى فقر وضعف الأصل- قال: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فانكحوه. ثلاث مرات»(١).

وقد رجح المصطفى ﷺ الفقير العفيف الطاهر النفس، الناصع السيرة، المستقيم الخلق، على الغنى الذى لا تتوافر فيه هذه الخصال الحميدة(٢).

وقد مر رجل على النبى ﷺ فقال: ما تقولون فى هذا؟ قالوا: حري إن خطب أن ينكح وإن شفع أن يشفع وإن قال أن يستمع ثم سكت.. فمر رجل من فقراء المسلمين، فقال: ما تقولون فى هذا؟ قالوا: حري إن خطب ألا ينكح وإن شفع ألا يشفع وإن قال ألا يستمع. فقال رسول الله ﷺ: هذا خير من ملء الأرض مثل هذا»(٣).

وبهذا يبطل الإسلام مقاييس الجاهلية وتقديرات الجاهلين، الذين يقيسون عظمة الناس وعلو قدرهم وصلاحهم للاختيار للزوجية بما يملكون من مال أو جاه أو جمال أو حسب، ويغفلون فى نفس الوقت جماع العظمة وعلو القدر والصلاح الحقيقى المستقيم، الذى تصح به الحياة، ويسلم به الأحياء من شرور النفس وبغى الشراء،

(١) أخرجه الترمذى وحسنه.

(٢) د. على يوسف السكى: "نظام الأسرة فى الإسلام"، ص٥٥

(٣) أخرجه البخارى.

وطغيان الجاه وأثرة الجمال، وهذا هو مقياس العدل بلا جدال[1]. وكيف لا يكون مقياس العدل وهو المستخلص من كتاب الله وهدى رسول الله ﷺ إذ التفاضل بين العباد فيما يعمر القلب، ويسيطر على الوجدان، ويحلى صاحبه بلباس التقوى. يقول سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[الحجرات:١٣].

مقاصد الأسرة فى الإسلام

إن المتأمل لحث الإسلام على تكوين الأسرة بالزواج الذى شرعه الله، وترغيبه فى ذلك، والحرص على اختيار ذى الدين وذات الدين، يلحظ بوضوح أهم وظائف الأسرة فى الإسلام، والتى يمكن إجمالها فيما يأتى[2]:

١- إنجاب الذرية

وذلك لتستمر سنة استخلاف الله الإنسان فى الأرض، ليعمرها وفق منهج الله -عز وجل-، وكانت القدرة الأزلية غير قاصرة عن اختراع الأشخاص ابتداء من غير حراثة وازدواج، ولكن حكمة الله اقتضت ترتيب المسببات على الأسباب مع الاستغناء عنها؛ إظهاراً للقدرة، وإتماماً لعجائب الصنعة، وتحقيقًا لما سبقت به المشيئة، وحقت به الكلمة، وجرى به القلم، وفى التوصل إلى الولد قربة من أربعة أوجه، هى: الأصل فى الترغيب فيه عند الأمن من غوائل الشهوة حتى إن لم يحب أحدهم أن يلقى الله عزبًا.

الأول: موافقة محبة الله بالسعى فى تحصيل الولد لإبقاء جنس الإنسان.

الثانى: طلب محبة رسول الله ﷺ فى تكثير من به مباهاته.

الثالث: طلب التبرك بدعاء الولد الصالح بعده.

---

(١) د. عمارة نجيب: "الأسرة المثلى"، ص٥٥.

(٢) الإمام الغزالى: "إحياء علوم الدين" ٤/ ٦٨٨.

الرابع: طلب الشفاعة بموت الولد الصغير إذا مات قبله[1].

٢- العفة والإحصان

حيث إن قضاء الوطر وإفراغ الطاقة الجنسية التى خلقت فى الإنسان -ذكرًا كان أو أنثى- لابد أن يكون له وعاء نظيف شرعى. دائم مستقر؛ لاستقبال هذه الطاقة وتوظيفها فى المحل الصحيح، وتوجيهها الوجهة السليمة، والأرض الطيبة التى تسقى بماء طيب ويغرس فيها الحرث الطيب، تؤتى أكلها بإذن ربها طيبًا مباركًا.

والإسلام وهو يولى الجانب الإنسانى فى الزواج واهتمامه؛ إشباعًا لتلك الرغبة، لا ينظر إلى هذه الطاقة كمجرد أمر واقع، ولكنه يقف منها موقف التقدير، باعتبارها وسيلة لغاية جليلة نبيلة، تصون العرض وتحفظ الشرف، وترضى الرب، ويُثاب المرء عليها؛ ولذا قال ﷺ «وفى بضع أحدكم أجر»، أى أن الرجل يُثاب على قضاء وطره مع زوجته التى أحلها الله له. قيل يا رسول الله، أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟ قال: «أرأيتم لو وضعها فى حرام. أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر».

وإن حث الإسلام على ذكر اسم الله -سبحانه وتعالى- قبل بدء الاتصال بين الرجل وزوجته؛ ليشعرنا بأدب النبى ﷺ المسلمين على فعله، ليدل دلالة قاطعة على مدى نظافة الجنس فى نظر الإسلام، وعلى مدى رغبته فى تأصيل هذه النظافة فى حس المؤمن وشعوره.

فالنكاح إذن بسبب دفع غائلة الشهوة مهم فى الدين لكل من لا يؤتى عن عجز وعُنَّة، وهو غالب الخلق، فإن الشهوة إذا غلبت ولم يقاومها قوة التقوى، جرت إلى اقتحام الفواحش، وارتكاب الآثام، وإليه أشار ﷺ بقوله: «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير»[2].

---

(١) د. على السبكى بتصرف.

(٢) رواه الترمذى وحسنه.

٣- المشاركة فى تبعات الحياة ومسئوليتها

وذلك لأن الإسلام يهدف من الزواج المشروع دوام العشرة، واستقرار الأسرة، ولا يدوم ذلك إلا إذا كان ذلك الزواج سكنًا ومودة ورحمة كما قال سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾[الروم:٢١].

واللام فى ﴿لِّتَسْكُنُوا﴾، للتعليل، أى أن مقصد الزواج هو السكنى والاستقرار، والسكنى -وإن كانت هدفًا فى جانب- فهى وسيلة إلى جانب آخر، ولأن السكن المطلوب هو سكن القلب والعقل والعاطفة والجسد، ولا يتحقق الإنجاب -بإذن الله- إلا إذا تحقق هذا السكن، ورفرفت المودة والرحمة بجناحيها على تلك الأسرة الصالحة، التى يتحمل فيها كل من الزوجين أعباء الحياة ومسئولياتها، حيث يكدح الزوج ويسعى فى تحصيل القوت وتوفير النفقة ورغد العيش، ومعه زوجة صالحة تدير البيت وترعى شئونه، وتساعده وتشاركه أفراحه وأتراحه، وتخفف عنه همومه، وتعنى ببيتها وأولادها؛ ولذا كانت أمثال تلك المرأة خير متاع والتى قال فيها رسول الله ﷺ: «إن الدنيا كلها متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة»(١).

٤- ترويح النفس وإيناسها بالمحادثة

وذلك فيه راحة للقلب وتقويته على العبادة، فإن النفس ملول، وهى على الحق نفور؛ لأنه على خلاف طبعها، فلو كلفت المداومة بالإكراه على ما يخالفها جمحت وثابت، وإذا روحت باللذات المباحة فى بعض الأوقات قويت ونشطت.

وفى الاستئناس بالزواج من الاستراحة ما يزيل الكرب ويروح القلب ويشرح الصدر؛ لأنه إذا نظر إليها سرته، وفى هذا السرور تتلاقى الأرواح، وتتعانق النفوس، وتسكن المشاعر، وتهدأ الخواطر، وتستريح الأجساد؛ ولذا قال سبحانه: ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾[الأعراف:١٨٦].

---

(١) أخرجه مسلم.

وقال على -رضى الله عنه-: "روحوا القلوب ساعة فإنها إذا أكرهت عميت" وفى الخبر على العاقل أن يكون له ثلاث ساعات: ساعة يناجى فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يخلو فيها بمطعمه وشربه، فإن فى هذه الساعة عونًا على تلك الساعات لله"[1].

وإن لنا فى رسول الله ﷺ لخير أسوة وقدوة، وكيف كانت مودته ورحمته لأمهات المؤمنين -رضى الله عنهن- وكيف كانت مؤانستهن ومعاشرتهن بالمعروف ومن يقابلن المعروف بمثله، والمؤانسة والمودة بأسمى صورها وأجلى معانيها.

٥- القيام بحقوق الأهل

حيث إن مجاهدة النفس ورعايتها ورياضتها بالولاية والقيام بحقوق الأهل والصبر على أخلاقهن، واحتمال الأذى منهن، والسعى فى إصلاحهن وحسن تربيتهن، وإرشادهن إلى الطريق القويم والخلق الكريم، والاجتهاد فى كسب الحلال لأجلهن، وإطعامهن الطيب من الرزق؛ قيامًا بحق الرعاية التى أوجبها الإسلام عليه: «ألا كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته»[2]. وليس من اشتغل بإصلاح نفسه وغيره ولا من صبر على الأذى كمن رفه نفسه وأراحها. فمقاساة الأهل والولد بمنزلة الجهاد فى سبيل الله، والإنفاق على الأهل والقيام بحقوقهم يُثاب المرء عليه؛ ولذا قال ﷺ: «ما أنفقه الرجل على أهله فهو صدقة وإن الرجل ليؤجر فى اللقمة يرفعها إلى فِى امرأته»[3].

٦- تقوية أواصر القربى وصلة الأرحام

وذلك أن الزواج يحفظ الأنساب، ويصون الأعراض، وبذلك ينتقل الميراث من

(١) أخرجه ابن حبان من حديث أبى داود فى حديث طويل.

(٢) للطبرانى والبيهقى من حديث ابن عباس والجزء الثانى: «كلكم راع» متفق عليه من حديث ابن عمر.

(٣) أخرجه البخارى ومسلم.

جيل إلى جيل؛ تدعيمًا لتلك الأواصر، ومحافظة على حدود الله فى إعطاء كل ذى حق حقه فى الميراث، ولولا نقاء الأنساب وطهارتها عن طريق الزواج الشرعى، ما عرف أحد الورثة نصيبه وحقه الذى قرره الله له، وبذلك تقوى الروابط وتتحقق صلة الأرحام.

وإذا كانت هذه هى مقاصد الإسلام من الزواج مجملة، فإن هناك مقاصد أخرى وهى العفة والطهر، والإحصان الذى يجعل الأسرة المسلمة والمجتمع المسلم مجتمعًا عفيفًا طاهرًا، بعيدًا عن الفواحش، ما ظهر منها وما بطن، وأفحشها الزنى الذى حذر الله منه لما يترتب عليه من نتائج وعواقب وخيمة وشقاء فى الدنيا وعذاب أليم فى الآخرة. وصدق الله العظيم: ﴿ولا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء:٣٢].

وفى الزواج الصحيح الذى شرعه الله سبحانه وقاية للمجتمع من هذا المصير المهلك، وسموّ به عن مراتع الحيوان إلى كرامة الإنسان وسمو مكانته.

غير أن الأسرة المسلمة التى عنى بها الإسلام، والزواج الصحيح الذى شرعه الله، تهب عليه وعليها أعاصير هوجاء، وريح عاتية تنذر بخطر عظيم إذا لم يتنبه المسلمون ويقفون فى وجه تلك التحديات التى نشير إلى بعضها فى المبحث الثانى.

❊ ❊ ❊

المبحث الثانى
التحديات المعاصرة للأسرة المسلمة

من التحديات المعاصرة التى تواجه الأسرة المسلمة تلك الدعوات المحمومة والأفكار المسمومة، التى تدعو إلى هدم الأسرة التى فطر الله الناس عليها، فطرة الزوجية المشروعة بين الذكر والأنثى؛ لتقيم مكانها أسرة لقيطة متداعية تحت مسميات خادعة ومفاهيم خاطئة، تدفعها شهوات عارمة ونفوس ضالة وعقول فارغة، ومن ذلك الدعوة إلى زواج المثلية، الذى يخالف الفطرة السوية وسنن الله فى خلق عناصر الكون من زوجين، ذكر وأنثى، ومن شأن تلك الدعوة إشاعة الانحلال الخلقى بالدعوة إلى الحرية المطلقة، والعودة فى نظرهم إلى البدائية، إلى الحيوانية التى تتصادم مع الفطرة الإنسانية.

وهى دعوة خطيرة زائفة، تحاول القضاء على ما قررته كل الشرائع السماوية، وما أوحى إلى خاتم أنبيائه ورسله محمد ﷺ من تشريعات وأحكام ومبادىء مثلى تتفق مع الفطرة السوية.

وقد بدأت تلك الدعوة الهدّامة بترويج المفهوم الغربى للمرأة، والذى أخرجها عن ذاتها وطبيعتها ووظيفتها؛ ليضعها فى مجال البديل الاقتصادى، أو المتعة الذاتية، مخالفًا بذلك التركيب الصحيح للمرأة، والعلاقة التى يجب أن تكون بين الذكر والأنثى، وبذلك تفقد المرأة أهم خصائصها وأنبل مكوناتها، تفقد العفة والحياء والكرامة والطهر والشرف، والاطمئنان النفسى، والسكن القلبى، والمودة، والرحمة، ودفء المشاعر والأحاسيس، وحلاوة الحب الصادق فى ظلال الأسرة التى دعا إليها الإسلام وحث عليها ورغّب فيها، فحفظ للمرأة حقها، ورفع قدرها، وأعلى شأنها، واعترف بها شقيقة للرجل، واعتبر من مقاصد الزواج إنجاب الذرية الصالحة التى تعمر بها الحياة، ويسعد الأحياء، ويتحقق به غاية استخلاف الإنسان فى هذه الأرض. ولا

شك أن تلك الأسرة اللقيطة وهذا الزواج المنحرف من شأنه شيوع الانحلال، وانتشار الفاحشة، وانقطاع النسل.. فكيف ينبت النبات فى غير موطن الحرث؟! إن هذا هو الانحرف بعينه، الذى يهوى بالمجتمع رأسًا على عَقِب.. ومن العجيب -بل ومن الغريب- أن تعقد المؤتمرات هنا وهناك برعاية الأمم المتحدة لتقر مثل هذه الدعوات، بل والأعجب أن تصادق بعض المجالس النيابية على هذا السلوك، وتعتبره مشروعًا وتصدر به قوانين، غير أن السبب فى ذلك هو تلك المناهج البشرية التى تحكمها الأهواء والرغبات والشهوات، وتحتكم إلى عقول لا تهتدى بهدى السماء، ولا تسلك سُبُل الرشاد، فتحاول جاهدة أن تثير الشبهات، وتنفث السموم القاتلة، وتسبح ضد التيار معكرة صفو المجتمع الإسلامى. بتلك المفاهيم الخاطئة التى نبتت فى بيئة غير بيئتنا ومجتمع غير مجتمعنا، ولدى أقوام يريدون الارتكاس والانتكاس إلى الحيوانية، والانغماس فى الشهوات والدنايا ومستنقع الرذيلة، ومن التضليل تغليف تلك الدعوات وهذه النظريات الهدامة بالدعوة إلى تحرير المرأة وفق مفهومهم الذى يخرج المرأة عن مهمتها، ويحط من قدرها وكرامتها وإنسانيتها[1]، وهى دعوة تدمير وتخريب لها نتائجها السيئة، وعواقبها الوخيمة، حيث تتفكك عرى الأسرة، ويتهاوى بناء المجتمع الذى يبنى على شفا جرف هار؛ بسبب الانحراف الأخلاقى وشيوع الفاحشة المثلية وغير المثلية من مسميات شيطانية، والتى تجر وراءها البلاء الشديد والأمراض والأوجاع وعضال الداء، الذى لم ينجح معه دواء، ولا يرجى له شفاء، وبذلك يدب الخوف والهلع فى النفوس، ويفقد المجتمع أمنه وراحته، ويعيش فى حيرة وقلق واضطراب ويأس وحسرة وندامة. فهو لم يعد يرى معنى للحياة الإنسانية، ولم يعد يشعر بمعنى الحب، ولا يتذوق حلاوة المودة، وظلال الرحمة، وحنان الأبوة والأمومة، وشفقة البنوة وصلة الأرحام، وبالبيان يتأكد المقال..

فقد صدر تقرير بمناسبة السنة الدولية للمرأة أبرز آثار الدعوة إلى التحرر

(١) أنور الجندى: "أخطاء المنهج الغربى الوافد"، ص٣٧٤.

والمساواة العمياء حيث بلغت نسبة الطلاق فى السويد ٦٠٪ من عدد الزيجات، وفى الولايات المتحدة الأمريكية ٤٠٪، وفى الدانمارك ٣٩٪، وفى ألمانيا الشرقية ٣٠٪، وفى روسيا ٢٨٪، وفى فنلندا ٢٤٪. وهذه المساواة المزعومة جعلت ثلثى الراغبات فى الطلاق فى فرنسا من اللواتى يمارسن عملا ومهنة، وجعلت ٢٢٪ من حلالات طلاق فى ألمانيا، نتيجة الخيانات الزوجية ١٠٪ لأسباب جنسية، و١٠٪ بسبب الإدمان على المشروبات الكحولية.

كما دلت الإحصائيات الأمريكية على أن ٨٤٪ من رجالها المتزوجين، و٤٠٪ من نسائها المتزوجات، لهم صلات قبل الزواج، كما أن ٢٥٪ من المتزوجات، و٤٠٪ من المتزوجين، على صلات بغير أزواجهن.

إن المجتمع الذى تحررت فيه نساؤه وتفككت عرى أسره، تزداد فيه جرائم سواء معاملة الآباء والأمهات لأطفالهن كالضرب المبرح إلى درجة القتل، فتصل التقديرات إلى معدل يتراوح بين ١٣ و٢١٪ حالة لكل ألف نسمة من سكان الولايات المتحدة الأمريكية، وأما ما ثبت من هذه الوقائع قضائيا فقد بلغ فى ألمانيا الاتحادية -كمثال- ما يعادل ألفى واقعة سنوية أدى ١٠٪ منها إلى موت الأطفال، وكان ضحايا ٣٣٪ منها دون السادسة من العمر، وضحايا ٥٤٪ منها أطفالا بين السادسة والرابعة عشرة من العمر، فضلاً عن قضايا إهمال التربية للأطفال ورعايتهم، كما كان ازدياد الأحداث دون الرابعة عشرة من العمر من ٤٠ ألف جريمة عام ١٩٦٣م إلى ٧٢ ألفًا عام ١٩٧٠ فى ألمانيا الاتحادية، وازدياد جرائم القتل التى ارتكبها الأحداث دون الثامنة عشرة من العمر فى الولايات المتحدة الأمريكية بمعدل ٧٨٪ بين عامى ١٩٦٦ و١٩٧١م، وازدياد جرائم الاعتداء على الآخرين التى ارتكبها الأحداث بين ١٠-١٤ سنة فى الولايات المتحدة الأمريكية أيضًا بمعدل ٣٠٠٪ خلال عشرة أعوام فقط، وأن تكون أعمار ٥٥٪ من اللصوص، ٤٧٪ من الجناة دون الحادية والعشرين من العمر. كما أن من النتائج فى ألمانيا الاتحادية هى أن يولد ٣٨

ألف طفل غير شرعى بمعدل سبعة أطفال من كل مائة طفل، فى وقت بلغ فيه عزوف سكان هذا البلد عن الأطفال بدرجة أصبحت معها الوفيات أكثر من الولادة بمعدل وصل عام ١٩٧٤م إلى ١٠٨ آلاف نسمة.

أما حق العمل فقد أصبحت المرأة تمارسه على نطاق واسع فى الأمم المتمدينة الحديثة، ففى ألمانيا الاتحادية يعمل حوالى ٣٠٪ من مجموع عدد النساء فوق الرابعة عشرة من العمر فى المصانع، و ٣٩,٥٪ فى المكاتب والمهن الحرة. لقد أصبحت المرأة تعمل كالرجل، ولكنها لا تأخذ أجراً كاملا ولا تصل إلى المناصب العالية إلا نادراً، ولاسيما المناصب المرموقة اجتماعيا، كذلك فإن حق الظهور فى الحياة السياسية -وهو الهدف الأول فى دعوات التحرر والمساواة- لم يتحقق فى معظم الدول المتمدينة الحديثة، ففى ألمانيا الاتحادية نفسها لا تتجاوز نسبة النساء فى المناصب الإدارية العليا بما فى ذلك المناصب الحكومية الرسمية ٠,٨٪ من مجموع النساء الموظفات من المنشآت العامة للدولة[1].

هذا تقرير واحد، فما بالك بالتقارير الأخرى التى صدرت بعد عام ٢٠٠٠م، وسردت صفحاتها بما آل إليه أصحاب الدعوات الهدامة للأسرة عامة، وللأسرة المسلمة خاصة.

وبعد، فهل هذا هو التحرر الذى تحتاج إليه المرأة المسلمة فى مجتمعنا المسلم بعد أن ابتعدت مجتمعاتنا عن الإسلام؟! وهل هذا هو التحرر الذى تحتاج إليه مجتمعاتنا المسلمة اليوم لتحقيق ما يريده الله من عزة وكرامة وسمو فى الأخلاق وطهارة فى السلوك، ومن تقدم ورخاء ووحدة على أسس اجتماعية سليمة، ووفق الزواج الصحيح الذى شرعه رب العالمين؟

---

(١) نقلاً عن كتاب "تاريخ العادات" لمؤلفه: باول فيشا. ط ميونخ ١٩٧٥. كتاب: "العنف ضد الأطفال" نشر فى ألمانيا ونشرته مجلة «سبنجل» الألمانية فى ٢١/ ٧/ ١٩٧٥م. انظر: "مكانة المرأة" سالم البهنساوى، ص١٤٧.

إن المرأة المسلمة والرجل المسلم -على السواء- فى أمس الحاجة اليوم إلى التحرر من العبودية والتبعية، والتقليد الأعمى للشرق والغرب، وإلى التخلص من سجون الفقر والجهل والظلم الاجتماعى والكبت السياسى. فى حاجة إلى تطبيق أحكام الله -عز وجل- كما أنزلها دون تشويه، ودون تحريف، ودون استغلال. فى حاجة ماسة إلى إدراك دورهما الكبير فى الدعوة إلى دين الله، وفى تكوين الشخصية الإسلامية المستقلة، والأسرة المسلمة التى تضرب جذور سلوكها وأخلاقها ومبادئها فى تاريخها الإسلامى العريق، وتدرك إدراكًا واعيًا حقيقة العصر ومتطلباته، دون أن تفقد هويتها وتفرّط فى رسالتها.

إن الإسلام يرفض للمرأة أن تفقد كرامتها لتكون متعة رخيصة باسم التمدن الزائف، أو تفقد ثوابتها لتكون آلة فى سبيل التقدم الصناعى، أو تفقد أخلاقها لتكون جسدًا يُباع ويشترى سلعة رخيصة فى أسواق رقيق القرن العشرين والواحد والعشرين.

والإسلام هو الذى حررها من العبودية لغير الله، وأنقذها من استغلال مخلوقات الله، وساوى بينها وبين الرجل فى الكرامة والمسئولية والعبادة والعمل الصالح، وجعل لها من الحقوق وعليها من الواجبات ما هى له أهل وبه جديرة.

وإن الذى شرع للناس نظام الأسرة والمجتمع هو الله -سبحانه وتعالى-؛ ليظل صالحًا لكل زمان ومكان، وباتباعه يصلح الإنسان والزمان والمكان[1].

إن الأسرة المسلمة التى تقوم على الزواج الصحيح الذى شرعه الله، هى الواحة النضرة ذات الظل الظليل، التى تحقق للمجتمع الأمن والأمان والسعادة، والاطمئنان، والسكن، والمودة، والرحمة؛ لأنها واحة أصلها ثابت وفرعها فى السماء، تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها، لا تهزها العواصف، ولا تحركها القواصف، ولا تنال منها التحديات المعاصرة.

(١) سالم البهنساوى: "مكانة المرأة بين الإسلام والقوانين العالمية"، ط بيروت، دار التقدم، ١٩٨٦م.

وعلى المسلمين أن يلتـزموا منهج الله، وهدى رسوله ﷺ ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[آل عمران:١٠١]، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[النساء:٦٥]. صدق الله العظيم.

وصلى الله وسلم وبارك وأنعم على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى أصحابه ومن اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،،،

* * *

obeikandl.com